

الأرض التي وزعها المذيع

وتركته ... وأظنه ردة الحياة إلى القبور ...

ووقفت .. فازدحت على جفني أطباف المساء ...
ولحسها ... صوراً تعشّر بالشهيق .. وبالبكاء ...
وتسمرت عيني على «شبح» تخضب بالدماء ...
وأعدت «قصته» ... جراح الأرض في كبد السماء ...
وصراخ محرومين إلا من تأوّه الشقاء ...
وكفرت بالكف التي لم تمتلك غير الرثاء ..
هوذا .. خيال المشهد الدامي .. أجرده ورائي !..

الشمس .. تلتهم المسالك بالحرارة .. والضياء ...
والدرب .. درب القرية الغبراء .. أفقر من شئاء ..
تهدا .. وتذروها الرياح عجاجة .. ملء الفضاء ..
هي في الحياة كسالكها .. لا تريد على هباء ...
ومن البعيد .. تلوح اكواخ .. وتفرق في الحفاء ...
متناثرات .. كالجماجم .. قد نبذن إلى العراء ...
دعيت «بيوتاً» .. في الكثير من الساحة .. والسخاء ..

وأدرت مذيعي على صوت .. كمنزلق الصخور ..
ينهد .. كالشلال أسرف في التدفق .. والهدير ...
ويرق حيناً ... فهو أين في المسامع من حرير ...
وحبست انفاسي على مزق .. من «النبأ» المثير ...
«الظلم .. حررونا البلاد من المآثم والشرور ..
والفقير .. لن يمشي له طيف على جفني فقير ...
والجوع .. أشبعنا الجميع .. فصوته نغم السرور ..
والعدل !.. باللكوخ يلطم - باسمه - صدر القصور ..
والحصب .. أغرقنا القفار الجرد .. بالغدق النмир ..
والأرض !.. - واشتدت على الاسماع جلبة الأثير -
الأرض .. للساقين تربتها بدمعهم المرير ...
للغارسين .. دماءهم فيها مع الزرع النضير ...
لدعامة الوطن العزيز ، ونسغه السَّمح الطهور ...
الأرض .. للفلاح ... للعبد المسخر .. والأجير ...

ومضى «البلاغ» يهز مذيعي .. بمعجزة العصور ...

الشخصي الصحيح» . وقد كان هذا الرأي صحيحاً ، لأن نقدنا هو الذي وضع حداً «للأدب المبتذل ، والشعر المسخر» وهياً طريقاً معبدة ، واضحة المعالم لأدب جديد يبرع عن شخصيتنا واهوائنا وأفكارنا. وإن نظرة واحدة الى ما نقرأ الآن مما ينتجه ادباؤنا في مختلف الاقطار العربية تثبت ان النقد هو الذي وجه هؤلاء الأدباء ، وسامح في تصحيح المغاييس الأدبية، والتوجيه الأدبي هو الذي يستمد من الحياة الصحيحة ، لا من الكتب . ولولا هذه المغاييس النقدية التي فرضت النظرة المستقيمة ، والذوق السليم لما طعنا في هذه الثروة الضخمة على ضيق الزمان والمكان . ومن ذا ينكر اثر «الغربال» لميخائيل نعيمة في توجيه الشعر من ناحية الى ناحية ، من ناحية الصيغ اللفظية والقوالب التقليدية الى ناحية المعاني والاحساس البسيط الصادق، ومن ذا يحسد نقد الجبارة «طه حسين والمقاد والمازني» في ايام كان الأدب فيه فكرة محنطة ، وكان الادباء صانعين مقلدين ؟

ومن هنا ارى ان النقد الحديث يعود اليه الفضل كله في توجيه ادبنا المعاصر . اما النقد الحديث الذي حمل مشاعله رجال تفهموا الادب تفهماً مستقيماً ، ونقلوا فهمهم الى الميدان الادبي نقلاً مستقيماً فهم ابناء مدرستين لا ثالث لهما ... مدرسة النقد الغربي الناضجة التي استقامت موازينها في نقد الآثار

— التمتة على الصفحة ٧٩ —

الحالة فسجلها الادباء وصدروا عنها . ومع ذلك فالملحظ - في جميع البلاد العربية - ان حركة النقد قد اخذت تتمخض اليوم عن اتجاهات ادبية تملأها الحياة ويوضح النقد بواعثها واهدافها ، فجدد اليوم من لايزالون ينتشرون بنظرية «الفن للفن» او «الادب للادب» بينا نجد آخريين يقاتلون في حرارة ليعمل الادب في خدمة الحياة وخدمة المجتمع حتى يلقي استجابة من الجماهير التي طال بها الظلم واستعباد الفقر وضلال الجهل ، كما نجد اصطداماً في مجال الشعر بين الخطابة والهمس بعد ان اصبحت الروح العربية تهفو الى الصدق وتطمئن الى اسرار النفس البشرية التي لا يمكن ان تقال الا همساً لما تتضمنه من آلام وآمال واحلام . وليس من شك في ان الحملات الجبارة التي قادها النقد هي التي خلصت الادب العربي من الصناعة اللفظية التافهة ، وردته الى المين الانساني العام ، كما فتحت عليه منافذ السمات الغربية لتغني على ما فيه من ركود وتعمق حتى اصبح الادب العربي المعاصر يسير في تيار الانسانية العام وان كان لا يزال في حاجة الى مزيد من القوة والاستعداد حتى يساير ذلك التيار ويدرك طلائع القافلة.

جواب الاستاذ خليل هنداي

أذكر انني كتبت منذ سنين بعيدة مقالة في وظيفة النقد ، واذكر انني خرجت الى رأي اقول فيه : « ان نقدنا الصحيح قد بدأ قبل ادبنا

هي مسرح الصور التي انتفضت تعثرُ بالبكاء...
هي قرية الشهقات .. والشبح الخضب بالدماء ..

★

أترك غبار الدرب خلفك .. وانحدر نحو الطلول ..
ودع « الأثيو » بقصة الفردوس يهدر كالسيول ...
لا يسمع الريف « المذيع » .. ليستفيق على الدهول ...
ألبسُ لقمه .. فما لسواه ثمة من سبيل ...
أترك غبار الدرب يبعث .. وانحدر نحو الطلول ...
« أقرية » الغبراء .. صامئة الجوانب .. كالقتيل ...
وبيوتها السبعون .. مقبرة خوت عما قليل ..
تتمل الشكوى بها خرساء .. أبلغ من عويل ..
ما زال لحم البائسين .. على ترابهم الذليل ..
ما زال سوطُ « المنقذين » .. يرن مسعور الغليل ..
سبعون كوخاً .. ودعت منها الحياة .. بلا قفول ..
سبعون كوخاً .. أرغمت تحت السياط على الرحيل ..
لفظتهم .. خيرقاً .. يمزقها الطوى عبر السهول ..
ألص .. ربُّ الجاه ، والسطوات ، والباع الطويل ..
أناهبُ للظل الظليل .. يضيع في الظل الظليل ...
ألصُ شاء ... فلم يكن « لعبده » غير المثل ...

★

من شرفة في القصر تلمع فوق اكواخ العراة ! ..
من مقعد .. لفته أهدابُ الحرير .. منمنات ...
أومت يدان صقيلتان .. الى الحقول النائبات :
« ستكون لي ! ... » ورمى بنظرته السنابل مانجات ...
خسى العبيد .. ليُهرقوا فيها الوجوه الشاحبات ...
وليُندبتوا فيها الحياة .. فلن يرف سوى زباني
« ستكون لي .. » والويل .. ويل في يزحزح عن شكاة !

★

وأفاقت السبعون .. من دور المهازيل العراة ..
استيقظت يوماً .. على الصرخات حمراً ، مفجعات ..
ومروءين .. على الطريق .. يلمنون مروءات ..
و « السيد » الجبار .. يسخر بالوجوه الضارعات ..
ويشير ؛ فالأجدات تلفظ ما تظلل من رفات ..
وتردّت بعض الظهور .. على السياط الملهبات ..
وتشبث بتراها المسلوب ، بالدم ، بالحياة ..

هيات ! صرخة معدمين .. تمزقت في عاصفات
والحق .. وارته « العدالة » تحت اقدام الطفاة !

★

وأمام قصر ، في المدينة ، ضارب شطر السحاب ..
أنغى بساحته الجلال .. فما يُفَيّق على مصاب ..
علقت خطي في الأرض .. تلمسها بجهد ، واضطراب ..
تدنو .. لتطرح في بين « العدل » مأساة الذئاب ..
أوليس مفزع كل مظالم .. الى هذي « الرحاب » ؟
وتهاب .. فالدرج الصقيل هناك يُنذر بالصعاب ..
وتعلقت عينان في الشرف السحيقة ، والقباب ..
وتحسس « الشبح » الخضيب دماءه فوق الثياب ..
« لا .. لن أعود .. الى الطريق ، الى التشرّد ، والحراب ،
لا .. لن أعود .. وسوف أقرع دون حقي كل باب !
أرضي .. التي رويتها بالدمع ، بالدم ، بالعذاب ..
داري ، التي آوت أبي ، ونسجت في يدها شبابي ..
غصبت .. وشققت السياط على حجارها إهائي ..
لا .. لن أعود .. أليس في الدنيا يد تحنو لما بي ؟ »

★

ودنا من الدرج الصقيل .. فزجرت احدى الحراب ..
وتلقفته « قبضة » بين الدمام ، والسباب ..
« إرجع .. » وأوشك آخر الانذار يهوي بالعقاب !
ورنا الى الشرف البعاد .. وعاد مخنوق الجواب !

★

أما « المذيع » فلم يكن قد كفت بعد عن الهدير :
« أظلم .. طهرنا البلاد من المآثم والشرور ..
والفقر .. لن يمشي له طيف على جفني فقير !
والجوع .. أشبعنا الجميع .. فصوته نغم السرور !
والعدل .. يا لأكوخ يقصم - باسمه - ظهر القصور
والحصب .. أغرقنا القفار الجرد بالغدق النير !
والأرض .. للساقين تربتها بدمعهم المرير !
للفارسين دماءهم فيها مع الزرع النضير !
لدعامة الوطن العزيز .. ونسفه السمح الطهور !
الأرض .. للفلاح ، للعبد المسخّر ، والأجير .. »

سليمان العيسى

حلب